فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(١٢)

شَرحُ

كِتَــابِ الكَبَــائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِٱللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايْماز الذَّهَبِيّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الفِرَارُ مِن الزَّحْفِ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ

الفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ

قَالَ اللهُ –تَعَالَى–: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الأنفال:١٦].

وَقَالَ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ...» فَذَكَرَ مِنْهَا التَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ.

[الشرح]

ثم أورد –رحمه الله– هـٰذه الكبيرة (الفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ) وقد جاءت معنا في حديث السبع الموبقات وسيذكر المصنف هنا. و"الفِرَارُ يوم الزَّحْفِ" أي التولي والهروب من القتال عندما يزحف صف المسلمين متجها إلى صف الأعداء.

التولي يوم الزحف: أي عندما يزحف صف المسلمين متجها إلى صف الأعداء، وهذا محك للصبر والصمود والإقبال عند معاينة المجابهة والملاقاة، فالتولي يوم الزحف في زحف جيش المسلمين لملاقاة الأعداء، هـٰذا كبيرة من الكبائر إلا في حالتين جاءتا استثناؤهما في القرآن الكريم:

﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ﴾ يعني يرجع، يفر ليكر، يرجع ليعود، يَرجع ليذهب إلى جهة أحوج، فهذا فِرارٌ أو رجوعٌ من أجل مصلحة الجهاد، ليس هروبا منه، فهذا لابأس به.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ.. ﴾ يعني احتاجت فئة أخرى إلى وقوفه معها، ففـرّ وذهب إلى الجهة الأخرى.

فهاتان الحالتان لا إثمَ فيهما لأنه عملٌ من مصلحة الجهاد، لكن الفرار –من حيث هو– والتولّي يوم الزحف هـٰذا كبيرة.

وإذا كان التولّي يوم الزحف كبيرةً من شخصٍ رغِب في الجهاد، وأقبل على الجهاد، وأقدم على الجهاد، وحمل سيفه في الجهاد واتجه إلى مقابلة الأعداء، لكن لمّا وصل إلى مرحلة المجابهة فرَّ، إذا كان هـٰذا كبيرةً، فكيف بمن يكون عونا للكفار على المسلمين، أو يُمارس أمورا من هـٰذا القبيل؟ إذا

كان من يفرّ مع أنه مضى للجهاد، وسعى لتحقيق هذا القُربة، لكن عند المجابهة فرَّ، فكيف بمن يُعين الكفار على المسلمين؟ لا شك أن هـٰذا أشنع وأعظم.

وهـٰذا وجهٌ مما استدل به أهل العلم على أن هـٰذا الحديث ليس حاصرا للكبائر، بل إنّ من الكبائر المذكورة أعمالٌ في الباب نفسه أشنع منها وأعظم؛ فإذن هـٰذا ليس حصرا للكبائر؛ بل إن هناك كبائر كثيرة ذُكرت في السُنّة ودلت عليها النصوص زائدة على هـٰذا القدر الوارد في حديث «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». والفرار من الزحف كبيرة لأنه له خطر عظيم، يعني لو لم يأت أصلا للجهاد ربما يكون أهون؛ لأنه إذا حصلت الملاقاة، يحتاج من الصفّ الإسلامي إلى الصمود وثبات وإقدام وإقبال، هـٰذا الذي يحتاجه هذا المقام؛ فإذا فرّ واحد وفرّ الثاني وفرّ الثالث صار للصف كُلّه ضعف وتقليل، وأيضا صار للأعداء تقوية على المسلمين عندما يرون بعضهم بدأ يلوذ بالفرار، ففيه أضرار كثيرة وخطر على المسلمين، ولهذا كان كبيرة من الكبائر.